الفصل العاشر

# الماء فى الآيات القرآنية

( أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزًا أإلاه مع الله )

صدق الله العظيم

كان ذكر الماء فى كثير من الآيات القرآنية الكريمة دليلاً واضحًا على أهمية هذه المادة وضرورتها للإنسان وجميع الكائنات الحية الأخرى كما تشير بعض هذه الآيات إلى أن الماء هو مصدر الحياة على ظهر هذه الأرض ، ولولاه لما كانت مثل هذه الكائنات على اختلاف أنواعها قادرة على الحياة والبقاء ، فهى كلها - كبيرة كانت أم صغيرة - فى حاجة إلى حصيلة يومية من الماء كى تكون قادرة على مواصلة الحياة .

كما أن الأرض نفسها - وهى التى تدب عليها هذه المخلوقات - تصبح ميتة هى الأخرى بغير الماء ، وموت الأرض هو جفافها وخلوها من الزرع نتيجة لعدم هطول الأمطار عليها ، وتقام فى بعض البلاد - التى تعتمد زراعتها على الأمطار وكذلك مصادرها المائية المتعلقة بماء الشرب ما يسمى « صلاة الاستسقاء » ، وفيها يدعو أهالى تلك البلاد الله سبحانة وتعالى أن ينزل عليهم الغيث إنقاذا لهم من الجفاف والمجاعات .

وتطالعنا الصحف من آن إلى آخر بأنباء الجفاف الذى يصيب بعضًا من بلاد الله الواسعة نتيجة لعدم هطول الأمطار الموسمية فى مواعيدها المنتظرة ، ويكون مثل هذا الجفاف فى بلاد تعتمد على ماء

المطر كارثة لا تخفى نتائجها على أحد ، فتموت الأرض بعد خضرة ، وتجف مساقى الماء ، وتختفى المراعى وتصير جرداء كالحة ، ولا تجد المواشى ما يسد احتياجاتها اليومية من أكل وماء ، فتموت هى الأخرى كما ماتت الأرض ، ولا يجد الناس ما يأكلون فتكون المجاعة والهجرة إلى أرض تبقى عليهم رمق الحياة . وعن موت الأرض وعلاقة ذلك بعدم نزول الأمطار يقول الله سبحانه وتعالى فى تلك الآية الكريمة :

( والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها )

صدق الله العظيم

وفى آية كريمة أخرى إشارة إلى نفس هذا المعنى مع إيضاح نتيجة هطول الأمطار على الأرض الساكنة وتلك هى :

( وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ) - صدق الله العظيم .

كما أن هناك آية ثالثة تشير إلى نفس هذا المعنى وتحدد بعض نتاج الأرض وتلك الآية هى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفً ألوانها » صدق الله العظيم .

وهناك آية أخرى تحتوى على شمول واضح لكل ما تنتج الأرض من طعام للإنسان أو الحيوانات المساعدة له ( وهى التى يستمد منها احتياجاته من الغذاء والكساء وغير ذلك من المناف

الأخرى ) ، فهى تشير إلى ما يأكله الإنسان أو الحيوان من نبات الأرض المختلفة أنواعه وألوانه ، وتلك الآية الكريمة هى :

( أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ) - صدق الله العظيم .

كما أن هناك إجمالا لكل تلك المعانى السابقة عن الحياة والأحياء فى قوله سبحانه وتعالى :

( وجعلنا من الماء كل شىء حىٍّ ) - صدق الله العظيم .

وكان لما تتسم به هذه الآية الكريمة من الدقة والبساطة والإيجاز سببًا فى اختيارها عنوانًا لهذا الكتاب ، وذلك بالإضافة إلى ما تحتوى عليه من شمول واضح لكل ما هو حى .

فإذا تركنا جانبًا علاقة الماء بالحياة والأحياء كما أوضحنا فى تلك الآيات البينات لوجدنا أن هناك آيات أخرى كثيرة تتعلق بنوعية الماء ، ومصادره الطبيعية ، وطرق تكوين هذه المصادر ، والدورة المائية فى الطبيعة إلى غير ذلك من الموضوعات التى نوقشت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب .

فعن عذوبة الماء أو ملوحته وتواجد كل من الماء العذب أو الملح فى مصدر مائى منفصل عن الآخر نجد ورود هذا المعنى فى وضوح كامل فى تلك الآية الكريمة :

( وهو الذى مرج البحرين هذا عَذْبٌ فرات وهذا مِلح أُجاج وجعل بينهما برزخًا وحجراً محجورا ) - صدق الله العظيم .

وعن علاقة الرياح بالسحب والأمطار نجد أن تلك الآية الكريمة تشير إلى تلك العلاقات الطبيعية ببساطة ووضوح :

( والله الذى أرسل الرِّياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلدٍ ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها ) - صدق الله العظيم .

وكذلك الآية الكريمة :

( هو الذى يريكم البرق خوفًا وطمعًا وينشىء السحاب الثقال )

وهى على ما يبدو السحب المثقلة ببخار الماء الذى يتساقط غيثًا على الأرض فيحييها بعد موت .

وهناك أيضا عديد من الآيات القرآنية الكريمة التى تشير إلى الماء العذب ومصادره الطبيعية من أنهار وعيون ، وعلاقة هذه المصادر بالأمطار التى تهبط عليها من السماء فتمتلىء بالماء العذب وتفيض على الأرض بالخير العميم ، ومنها على سبيل المثال :

( وأرسلنا السماء عليهم مدرارًا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم ) .

وأيضا الآية الكريمة التى تحمل نفس هذا المعنى :

( وهو الذى مدَّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارًا ) - صدق الله العظيم .

فإذا تركنا الأنهار جانبًا نجد أن المصدر الثانى للماء العذب - وهو عيون الماء - له نصيب وفر من تلك الآيات البينات ،

والمعروف أن هذه العيون هى التى يرتوى منها البدو وسكان البلاد القاحلة كما يسقون منها أنعامهم ، وكثيرًا ما تتكون حول هذه العيون « واحات خضراء » فى بطون الصحارى الشاسعة فى مختلف بلاد العالم ، فتصبح محطًا للمسافرين عبر هذه الصحارى يتزودون منها بما يلزمهم من طعام وشراب .

والواقع أن هناك تحت سطح الأرض خزانات مائية كبيرة أو صغيرة تبعًا لتكوينات القشرة الأرضية وما تحتوى عليه من طبقات صخرية أو طفلية أو رملية ، وقد يتدفق الماء من هذه الخزانات إلى سطح الأرض تحت الضغط الشديد على شكل عيون جارية أو آبار ثابته تبعًا لغزارة الماء وأيضا تبعًا لتلك التكوينات الأرضية ، وهناك إشارة واضحة لهذا الماء المختزن فى تلك العيون الموجودة فى باطن الأرض فى تلك الآية الكريمة :

( وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه فى الأرض ) – صدق الله العظيم .

وهناك إشارات واضحة أيضا إلى عيون الماء فى الآيات التالية :

( فيهما عينان تجريان )

( عينًا فيها تسمى سلسبيلًا )

( والسلسبيل هو اسم عين فى الجنة )

( وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من لعيون ) –صدق الله العظيم .

( شكل ٣٨ ) إحدى عيون الماء فى الواحات الخارجة وقد حولت الصحراء القاحلة إلى حديقة ظليلة .

وغير ذلك من الآيات البينات .

وبالإضافة إلى تلك المعلومات القيمة التى تذكرنا بها تلك الآيات الكريمة عن أهمية الماء للإنسان بوجه خاص والحياة على اختلاف أنواعها بشكل عام ، وعلاقة كل ذلك بطعام الإنسان المستمد من خيرات الأرض ، نرى أن هناك آيات أخرى تتعلق بالحيوانات المائية التى هى من أغنى الأطعمة بالبروتينات الحيوانية ، والتى أحل الله سبحانه وتعالى أكلها للإنسان ، ومن ذلك تلك الآية الكريمة :

( أحل لكم صيدُ البحر وطعامه متاعًا لكم ) - صدق الله العظيم .

وهناك آية أخرى تحتوى على نفس هذا المعنى وهى :

( وما يستوى البحران هذا عذْبٌ فرات سائغ شرابه وهذا ملحٌ أُجاجٌ ومِن كُلٍّ تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حِلْيةً تلبسونها ) .

ومن الواضح أن القرآن الكريم قد أطلق كلمة ( البحران ) على كل من البحر والنهر بالمفهوم الجغرافى ، أحدهما ماؤه عذب فرات ( وهو النهر ) والثانى ماؤه ملح أجاج ( وهو البحر ) ، وبكل منهما مختلف الأنواع والأشكال من الحياة الحيوانية التى تعتبر من أشهى الأطعمة وأحبها للإنسان ، ولم يقتصر الأمر عند ذلك ، بل هناك اللؤلؤ والمرجان اللذان تصنع منهما الحلى منذ أقدم العصور . ولهما ذكر واضح فى الآية الكريمة التالية :

( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) - صدق الله العظيم .

ويتضح مما تقدم أن ذكر الماء فى القرآن الكريم قد امتد إلى كثير من النواحى العلمية ، وفى مقدمتها علاقة الماء بحياة الإنسان وحياة الأرض التى عليها يعيش ، كما تناولت تلك الآيات الكريمة أيضا كثيرًا من الظواهر الطبيعية مثل تكوين السحاب وعلاقته بالأمطار التى تروى الأرض والتى لولاها لعم الجفاف ونضبت الأرض ونفقت الماشية والأغنام وانتشرت المجاعات ، كما أنها تحتوى على تمييز واضح للأنواع المختلفة من الماء وأهمها الماء العذب الفرات أو الماء الملح الأجاج أو لمياه المعدنية التى تتفجر من العيون فى مختلف أنحاء الأرض ، وكذلك المصادر المائية المختلفة التى يحصل منها الناس على ما يروون به ظمأهم أو يسقون منه أنعامهم أو يروون به أرضهم ، كما أنها تحتوى أيضا على إشارات واضحة للدورة المائية فى الطبيعة وانتقال الماء من البحر إلى السحب إلى الأمطار ومنها إلى العيون والأنهار ، ثم إلى البحر ثانية ، كل ذلك فى إيجاز وتعبير دقيق .

ولم نذكر فيما تقدم سوى النذر اليسير من تلك الآيات البينات ، ونضيف فيما يلى عددًا آخر منها لمن يريدون المزيد ، وسوف نذكرها واحدة بعد الأخرى دون تعليق ، فهى واضحة كل الوضوح ، كما أنها تتناول أيضا كثيرا من الموضوعات العلمية التى تحدثنا عنها فيما سبق .

وتلك الآيات البينات هى كما يلى :

( وأسقيناكم ماءً فُراتا ) .
( قد علم كل أُناسٍ مَشْرَبهم ) .
( إن المتقين فى جنات وَنَهر ) .
( وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ) .
( وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها ) .
( أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بِقَدَرِهَا ) .
( وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى ) .
( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبحُ الأرض مخضرّة ) .
( وهو الذى خلق من الماء بَشَرًا فجعله نَسَبًا وصِهْرًا ) .
( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكهُ ينابيع فى الأرض ) .
صدق الله العظيم